المبحث الأول
ضوابط في الطريق إلى
تحقيق الخصوصية

الضابط الأول
التربية ضرورة للوصول إلى الخصوصية

تعريف التربية لغويًا :

إذا راجعنا معاجم اللغة العربية وجدنا لكلمة التربية أصولًا لغوية ثلاثة[١]:

الأصل الأول : ربا يربو : بمعنى زاد و نما، و في هذا نزل قوله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[٢].

الأصل الثاني : ربي يربي : على وزن خفى يخفى بمعني أصلحه و معناها: نشأ و ترعرع .

الأصل الثالث : رب يرب بوزن : مد يمد بمعني أصلحه ،و تولى أمره وساسه و قام عليه و رعاه، و من هذا قول حسان بن ثابت ﷺ كما أورده ابن منظور في لسان العرب :

و لأنت أحسن إذ برزت لنا ... يوم الخروج بساحة القصر

من درة بيضاء صافية ... مما تَرَبَّب حائرُ البحر

---

(١) أصول التربية الإسلامية و أساليبها في البيت و المدرسة و المجتمع ، عبد الرحمن النحلاوي ، ص ١٣ - ١٤ ، دار المجتمع .

(٢)الروم : ٣٩ .

و قال : يعني الدرة التي يربيها في الصدف ،و بين أن معنى :تربب حائر البحر : أي : مما تربيه، أي : رباه مجتمع الماء في البحر .

قال : وربيت الأمر أربه ربا و ربابًا : أصلحته و متنته .

و قال الإمام البيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل و أسرار التأويل) : الرب في الأصل بمعنى : التربية وهو : تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا ثم وصُف به تعالى للمبالغة .

وقال الراغب – رحمه الله:« الرب فى الأصل التربيةُ» : «و هو إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حد التمام» [1].

و قد استنبط الأستاذ عبد الرحمن الباني من هذه الأصول اللغوية أن : التربية تتكون من عناصر :

أولها : المحافظة على فطرة الناشئ و رعايتها .

ثانيها : تنمية مواهبه و استعداداته كلها ، و هي كثيرة متنوعة .

ثالثها : توجيه هذه الفطرة و هذه المواهب كلها نحو صلاحها و كمالها اللائق بها .

رابعها : التدرج في هذه العملية، و هو ما يشير إليه البيضاوي بقوله : (...شيئًا فشيئًا) و الراغب بقوله :(حالًا فحالًا ...).

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، (٣٣٦).

تعريف التربية اصطلاحًا :

تنمية الجوانب الْمُختلفة لشخصية الإنسان ، عن طريق التعليم ، والتدريب، والتثقيف ، والتهذيب ، والممارسة ؛ لغرض إعداد الإنسان الصالح لعمارة الأرض وتحقيق معنى الاستخلاف فيها [١].

العلاقة بين التربية و التزكية :

«التزكية : هي أقرب الكلمات وأدلها على معنى التربية ؛ بل تكاد التزكية والتربية تترادفان في إصلاح النفس ، وتهذيب الطباع ، وشد الإنسان إلى أعلى كلما حاولت الْمُثبطات والهواجس أن تُسِفَّ به وتعوجّ» [٢].

تربية الله للأنبياء:

الرب : من أسماء الله الحُسْنَى :

وهو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم.

وأخص من هذا : تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق

---

(١) مدخل إلى التربية الإسلامية ، عبد الرحمن بن حجر الغامدي، ص ٣ ، الرياض : دار الخريجي للنشر والتوزيع.

(٢) نظرية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع ، الشيخ محمد الغزالي ، ص ١ ، ضمن بحوث ندوة خبراء أُسس التربية الإسلامية المنعقدة بجامعة أم القرى في مكة المكرمة خلال الفترة من ١١ - ١٦ جمادى الثاني ١٤٠٠هـ . مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، مركز البحوث التربوية والنفسية .

الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر. ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل، لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة[١].

وسوف نعرض نموذجين للأنبياء :

أولًا : تربية الله لموسى عليه السلام :

قال - سبحانه و تعالى- لموسى عليه السلام : ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[٢] .

الصُنعُ : إجادة الفعل .

و الاصطناع : المبالغة في إصلاح الشيء .

و قوله تعالى : ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ ، و﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾[٣]، إشارة إلى نحو ما قال بعض الحكماء : « إن الله إذ أحب عبدًا تفقده كما يتفقد الصديق صديقه»[٤].

قال ابن عاشور – رحمه الله : « والصنع: مستعار للتربية والتنمية، تشبيها لذلك بصنع شيء مصنوع، ومنه يقال لمن أنعم عليه أحد نعمة عظيمة: هو صنيعة فلان»[٥].

قال السعدي :« أي : تتربى على نظري و في حفظي و كلاءتي ، و أي نظر وكفالة أجل و أكمل من ولاية البر الرحيم ،القادر على إيصال مصالح عبده

---

(١) تفسير السعدي : ٩٤٥.

(٢) طه : ٣٩ .

(٣) طه : ٤١ .

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ص ٤٩٣.

(٥) التحرير و التنوير ، ابن عاشور ، (ج١١/ ٢٦٤١).

ودفع المضار عنه ؟ فلا ينتقل من حالة إلا و الله – تعالى – هو الذي دبر ذلك لمصلحة موسى . و حسن تدبيره : أن موسي لما وقع في يد عدوه ، قلقت أمه قلقًا شديدًا ،و أصبح فؤادها فارغًا و كادت تخبر به لولا أن الله ثبتها ، وربط على قلبها[١].

وفي تفسير قوله تعالى :﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ ، قال القرطبي – رحمه الله: «قال ابن عباس : أي : اصطفيتك لوحي ورسالتي . قيل: (اصطنعتك): قويتك وعلمتك لتبلغ عبادي أمري ونهي» [٢].

قال ابن كثير :« أي : اصطفيتك واجتبيتك رسولًا لنفسي، أي: كما أريد وأشاء »[٣].

و قال ابن عاشور - رحمه الله :

والاصطناع: صنع الشيء باعتناء، واللام للأجل، أي: لأجل نفسي. والكلام تمثيل لهيئة الاصطفاء لتبليغ الشريعة بهيئة من يصطنع شيئًا لفائدة نفسه فيصرف فيه غاية إتقان صنعه... و يؤذن بأنه اختاره وأعده لأمر عظيم، لأن الحكيم لا يتخذ شيئًا لنفسه إلا مريدًا جعله مظهرًا لحكمته، فيترقب لمخاطب تعيينها[٤].

وقال صاحب الظلال : « خالصًا مستخلصًا ممحضًا لي و لرسالتي ودعوتي.. ليس بك شيء من هذه الدنيا و لا لهذه الدنيا .إنما أنت لمهمة التي صنعتك على عيني لها و اصطنعتك لتؤديها .فما لك في نفسك شيء . و ما

---

(١) السعدي ،(٥٩٢).

(٢) تفسير القرطبي : ١١/ ١٩٨ .

(٣) تفسير ابن كثير : ٥/ ٢٩٤ .

(٤) تفسير التحرير و التنوير ، ابن عاشور ،(ج١١/ ٢٦٤٢).

أهلك منك شيء .و ما لأحد فيك شيء .فامض لما اصطنعتك له » [١].

وقال السعدي :«أي :أجريت عليك صنائعي و نعمي ، وحسن عوائدي، و تربيتي لتكون لنفسي حبيبًا ،و تبلغ بذلك مبلغًا لا يناله أحد من الخلق ،إلا النادر منهم .و إذا كان الحبيب إذا أراد اصطناع حبيبه من المخلوقين ،و أراد أن يبلغ من الكمال المطلوب له ما يبلغ ، يبذل غاية جهده ،و يسعى نهاية ما يمكنه في إيصاله لذلك ، فما ظنك بصنائع الرب القادر الكريم ،و ما تحسبه يفعل بمن أراده لنفسه ، و اصطفاه من خلقه ؟! » [٢] .

ثانيًا : تربية الله لرسوله محمد ﷺ :

اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون كل نبي أفضل قومه عقلًا وفضلًا وخلقًا وعملًا وسلوكًا ؛ وذلك لأنه يدعوهم إلى الكمال وإلى الفضيلة فلابد أن يكون متصفًا بها أولًا حتي تقبل دعوته ، ولقد منَّ الله على رسوله ﷺ بحفظه ورعايته، حيث قال تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [٣].

قال ابن كثير – رحمه الله : « أي : اصبر على أذاهم ولا تبالهم ، فإنك بمرأى منا وتحت كلاءتنا ، والله يعصمك من الناس»[٤].

وقال ابن عاشور – رحمه الله : أي : بمحل العناية والكلاءة منا، نحن نعلم ما تلاقيه وما يريدونه بك، فنحن نجازيك على ما تلقاه ، نحرسك من شرهم وننتقم لك منهم .

---

(١) في ظلال القرآن ،(ج٤/ ٢٣٣٥-٢٣٣٦).
(٢) السعدي ، (٥٩٢) .
(٣) الطور : ٤٨.
(٤) تفسير ابن كثير :٧/ ٤٣٨ .

وذكر العين تمثيل لشدة الملاحظة وهذا التمثيل كناية عن لازم الملاحظة من النصر والجزاء والحفظ ، وقد آذن بذلك قوله: ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ دون أن يقول: واصبر لحكمنا، أو لحكم الله ، فإن المربوبية تؤذن بالعناية بالمربوب ، وجمع الأعين: إما مبالغة في التمثيل كأن الملاحظة بأعين عديدة.

ولك أن تجعل الجمع باعتبار تعدد متعلقات الملاحظة :

- فملاحظة للذب عنه.
- وملاحظة لتوجيه الثواب ورفع الدرجة.
- وملاحظة لجزاء إعداده بما يستحقونه.
- وملاحظة لنصره عليهم بعموم الإيمان به[1].

و أخبر ﷺ عن نفسه و سلوكه في بداية حياته ، فقال : « **أدبني ربي فأحسن تأديبي** »[2] .

وهذه شهادة له بأنَّ الله تولى تربيته ، وأنه سبحانه كان يعده لأمر عظيم ، وهو حمل الرسالة الخاتمة، وإيصالها إلى أهل الأرض .

وعليه، فلا بد من أن تتوافر فيمن يقوم بهذا العمل كافة الصفات الحميدة الأساسية وكل ما هو من صفات الكمال الإنساني عمومًا .

ومن ذلك: الصدق في دعوته ، وعدم مخالفة ما يدعو إليه في أي وقت من

---

(١) التحرير و التنوير ، ابن عاشور ،(ج١٧/ ٤١٨٣).

(٢) رواه السمعاني في أدب الإملاء و الاستملاء ،ص١، من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ. قال الألباني: (ضعيف) انظر حديث رقم : ٢٤٩ في ضعيف الجامع ، و قال ابن تيمية في الفتاوي (١٨/ ٣٧٥) : معناه صحيح ،لكن لا يُعرف له إسناد ثابت.

الأوقات، في حال الصغر أو الكبر ، وكذلك الصبر على الأذى والرجاحة في العقل والحكمة ،والسلامة من الأمراض المنفرة . وتلك صفات كمال ربَّى الله رسوله ﷺ عليها كما ربَّى كافة أنبيائه على ذلك [١].

و من مظاهر رعاية الله لرسوله ﷺ :

الموقف الأول : رعايته وحفظه عندما أراد مشاركة أقرانه فيما يصنعون من اللهو و السمر :

عن علي بن أبي طالب ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما هممت بما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين من الدهر، كلاهما يعصمني الله تعالى منهما . قلت ليلة لفتى كان معي من قريش في أعلى مكة في أغنام لأهلها ترعى : أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما تسمر الفتيان، قال : نعم، فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف وزمر فقلت : ما هذا ؟ قالوا : فلان تزوج فلانة لرجل من قريش تزوج امرأة، فلهوت بذلك الغناء والصوت حتى غلبتني عيني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت فسمعت مثل ذلك، فقيل لي مثل ما قيل لي، فلهوت بما سمعت وغلبتني عيني فما أيقظني إلا مس الشمس، ثم رجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ فقلت : ما فعلت شيئا » قال رسول الله ﷺ : « فوالله ما هممت بعدها أبدا بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتي أكرمني الله تعالى بنبوته»[٢]. هكذا حماه الله تعالى أن يقع فيما يكدر عليه صفو دعوته فيما بعد .

---

(١) انظر : سعيد حوى ، الرسول ﷺ (١/ ٢١،٢٠)

(٢) المستدرك علي الصحيحين : ما هممت بما كان عليه أهل الجاهلية ،(٧٧٢٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

الموقف الثاني : فقد ثبت أنه ﷺ أثناء بناء الكعبة الشريفة مع قومه ، حاول أن يرفع ثوبه لتقيه الحجارة بأمر من عمه فأغمي عليه ، فلما أعيد ثوبه عاد معافًا، و قالوا له : ما شأنك ؟ فقال : « **لا أتحمل كشف عورتي** »[1]. و في هذه القصة الثابتة دليل كاف على أن الله يحرسه بنوع خاص من الرعاية والكمال.

و في مجال الامتنان عليه ﷺ وتذكيره بحالته وعناية ربه به قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾[2].

قال ابن كثير – رحمه الله: «وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه، وقيل: بعد أن ولد ﷺ ، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفي وله من العمر ثماني سنين، كفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم، فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكمل، فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه – رضي الله عنهم أجمعين – وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به»[3].

وفي تفسير قوله : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ قال القرطبي – رحمه الله: «أي:

---

(١) صحيح البخاري : انظر: فتح الباري (٣/ ٤٣٩)و (١/ ٤٧٤).

(٢) الضُحى : ٦-٨ .

(٣) تفسير ابن كثير : ٨/ ٤٢٦.

لا أحد على دينك، وأنت وحيد ليس معك أحد؛ فهديت بك الخلق إليَّ»[١].

قال ابن كثير – رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾: «أي: كنت فقيرًا ذا عيال فأغناك الله عمن سواه، فجمع له بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر ﷺ ،وقال قتادة في قوله : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ : كانت هذه منازل رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله ﷻ»[٢].

فرباه الله ﷻ وأحسن تربيته ، وأعده أحسن إعداد ، وهيأه أحسن وهيأه للقيام بأحسن رسالة ، وبعثه بأحسن الكتب المنزلة ،وأرسله لأحسن الأمم ، واختار له أحسن الأصحاب، فأعظم بذلك فضلًا وشرفًا.

---

(١) تفسير القرطبي : ٢٠ / ٩٩ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٨/ ٤٢٧.

التربية مهمة الرُسل عليهم السلام

دعا إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام - الله سبحانه وتعالى أن يبعث رسولًا لتزكية أهل مكة :

قال تعالى :﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1]. وقال تعالى : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾[2]. وقال تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[3].

قال ابن كثير – رحمه الله : في معنى ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ : « أي: يطهرهم من رذائل الأخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويعلمهم الكتاب وهو القرآن ، والحكمة وهي السنة ، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ، فكانوا في الجاهلية الجهلاء يسفهون بالعقول الغراء، فانتقلوا ببركة رسالته ويمن سفارته إلى حال الأولياء وسجايا العلماء، فصاروا أعمق الناس علما، وأبرهم قلوبًا، وأقلهم تكلفًا، وأصدقهم لهجة»[4].

---

(١) البقرة : ١٢٩.
(٢)البقرة : ١٥١ .
(٣)آل عمران : ١٦٤ .
(٤) تفسير ابن كثير : ١/ ٤٦٤ .

و قال سيد قطب – رحمه الله : ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ .. و لولا الله ما زكي منهم من أحد و تطهر، و لا ارتفع .و لكنه أرسل رسوله ﷺ يطهرهم :

– يطهر أرواحهم من لوثة الشرك ودنس الجاهلية ، ورجس التصورات التي تثقل الروح الإنساني وتطمره .

– و يطهرهم من لوثة الشهوات والنزوات فلا ترتكس أرواحهم في الحمأة . والذين لا يطهر الإسلام أرواحهم في جنبات الأرض كلها قديمًا وحديثًا يرتكسون في مستنقع آسن وبيء من الشهوات والنزوات تزري بإنسانية الإنسان ، وترفع فوقه الحيوان المحكوم عليه بالفطرة ، وهي أنظف كثيرًا مما يهبط إليه الناس بدون الإيمان .

– ويطهر مجتمعهم من الربا والسحت والغش والسلب والنهب .. وهي كلها دنس يلوث الأرواح والمشاعر ، ويلطخ المجتمع والحياة .

– ويطهر حياتهم من الظلم والبغي ، وينشر العدل النظيف الصريح ، الذي لم تستمتع به وجه الجاهلية في كل مكان من حولهم ، وفي كل مجتمع لا يزكيه بروحه ومنهجه النظيف الطهور [1].

مادة التوجيه و التعليم :

كان القرآن الكريم – مع توجيهات رسول الله ﷺ – هو مادة التوجيه والتعليم .

---

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب ،(ج١/ ١٣٢ - ١٣٣).

مكان التوجيه و التعليم :

كان مسجد رسول الله ﷺ - الذي يتلى فيه القرآن و التوجيهات المستمدة من القرآن – هو الجامعة الكبرى التى تخرج فيها ذلك الجيل الذي قاد البشرية تلك القيادة الحكيمة الراشدة ، القيادة التي لم تعرف لها البشرية نظيرًا من قبل و لا من بعد في تاريخ البشرية الطويل [١].

و ما يزال هذا المنهج الذي خرج ذلك الجيل و تلك القيادة على استعداد لتخريج أجيال و قيادات على مدار الزمان ، لو رجعت الأمة الإسلامية إلى هذا المعين ،و لو آمنت حقًّا بهذا القرآن ، و لو جعلته منهجًا للحياة لا كلمات تغنى باللسان لتطريب الآذن ! [٢].

التربية عملية مستمرة :

« إن أمر الالتزام بالأخلاق الحميدة يحتاج إلى تعويد طويل حتى تصبح عادة تلقائية ،و يحتاج إلى عمل دائب لغسل رواسب الجاهلية من النفس ، وهي رواسب لا تذوب في لحظة؛ لأنها متشابكة مع خيوط النفس ، وداخلة في بنائها ،كالبقعة الداخلة في النسيج ربما تغسلها مرة فتذهب ، وربما تحتاج إلى غسلات كثيرة حتى تذهب ..فالتربية عملية مستمرة لا يكفي فيها توجيه عابر – مهما كان مخلصًا ومهما كان صوابًا في ذاته – إنما يحتاج الأمر إلى المتابعة

---

(١) انظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، للأستاذ أبي الحسن الندوي ، ص ٨٢ – ٩٦ .
(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ،(ج١/ ١٣٣).

والتوجيه المستمر .

إن المتلقي نفس بشرية ، وليست آلة تضغط على أزرارها ثم تتركها وتنصرف إلى غيرها ، فتظل على ما تركتها عليه .. نفس بشرية دائمة التقلب ، متعددة المطالب ، متعددة الاتجاهات ، وكل تقلب ، وكل مطلب ، وكل اتجاه في حاجة إلى توجيه ، فالعجينة البشرية عجينة عصية تحتاج إلى متابعة دائمًا، و ليس يكفي أن تضعها في قالبها المضبوط مرة إلى الأبد و تستقر هناك، بل هناك عشرات من الدوافع المؤَّارة[1] في تلك النفس ، دائمة البروز هنا والبروز هناك، و دائمة التخطي لحدود القالب المضبوط هنا و هناك ، ولابد في كل مرة من توجيه لإعادة ضبطها داخل القالب ، حتى تنطبع نفس المتلقي بالتوجيه ، فيقوم هو بذاته بعملية المتابعة و التوجيه و الضبط .. ومن هنا مشقة التربية و خطورتها و ضرورتها في ذات الوقت ،فإما بالجهد الدائب و إما بالضياع» [2].

محاور التربية :

١- الإيمان العميق .

٢- التكوين الدقيق .

٣- العمل المتواصل .

و الإيمان العميق : هدفه ربط القلوب بالله وحسن الاتصال به .

---

(١) تمؤَّرَ الشيء :تحرك و اضطرب . ريح موارة : مثيرة للتراب ، ودابة مؤَّارة السير : سهلة السير سريعة. انظر: المعجم الوسيط ،(ج١/ ٨٩١)،

(٢) منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ،((ج٢/ ٨٥).

و التكوين الدقيق : و هو ما يطلق عليه مصطلح (التربية السلوكية والأخلاقية)، ففيه يكتسب الفرد الصفات الحميدة ،و يتخلص من الصفات المذمومة .

و العمل المتواصل: و هو التحرك بالدعوة وسط الناس ، فمقام الدعوة إلى الله من أفضل المقامات، وصاحبه من أتباع الرسل .

فعلى طالب الخصوصية أن يختار الجماعة التربوية التي تعتبر التربية ثابتًا من ثوابتها ،والتي بدورها تنتقي المربي الحاذق الذي يُراعي الله في تربيته لطلابه ومريديه ، ويجعل منهم أئمة هُدى ، وقادة إصلاح .

الضابط الثاني
تحديد ميدان العمل التى تفرَغ فيه المواهب والطاقات

وميدان العمل المؤهل لذلك هو الميدان الأصلي الذي قدره الله بحكمته: وهو المعركة بين خليفة الشر في إبليس ، وخليفة الله في الأرض ، المعركة الخالدة في ضمير الإنسان ، المعركة التي ينتصر فيها الخير بمقدار ما يستعصم الإنسان بإرادته وعهده مع ربه ، وينتصر فيها الشر بمقدار ما يستسلم الإنسان لشهوته.

الميدان الذي قال الله فيه : ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (١). وكان هذا إيذانًا بانطلاق المعركة في مجالها المقدر لها ، بين الشيطان والإنسان ، إلى آخر الزمان.

وفي أحداث المعركة التي تصورها الآية بين الإنسان والشيطان مذكر دائم بطبيعة المعركة ، إنها بين عهد الله وغواية الشيطان بين الإيمان والكفر ، بين الحق والباطل ، بين الهدى والضلال . . والإنسان هو نفسه ميدان المعركة ، وهو نفسه الكاسب أو الخاسر فيها . وفي هذا إيحاء دائم له باليقظة؛ وتوجيه دائم له بأنه جندي في ميدان؛ وأنه هو صاحب الغنيمة أو السلب في هذا الميدان.

والميدان الذي نقصده هنا والذي يبلغ فيه العبد أعلى مراتب الخصوصية

---

(١) البقرة : ٣٦ .

هو : **ميدان عبودية المراغمة** : وهي : عبودية خواص العارفين ولا ينتبه لها إلا أولو البصائر التامة، ولا شيء أحب إلى الله من مراغمة وليه لعدوه وإغاظته له ، وقد أشار سبحانه إلى هذه العبودية في مواضع من كتابه :

أحدها : قوله: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾[1].

سمي المهاجر الذي يهاجر إلى عبادة الله مراغمًا يراغم به عدو الله وعدوه، والله يحب من وليه مراغمة عدوه وإغاظته ، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

وقال تعالى في مثل رسول الله ﷺ وأتباعه: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾[3] فمغايظة الكفار غاية محبوبة للرب مطلوبة له فموافقته فيها من كمال العبودية .

وشرع النبي ﷺ للمصلي إذا سها في صلاته سجدتين ، فَعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى؛ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا، فَلْيُصَلِّ رَكْعَةً وَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ قَبْلَ التَّسْلِيمِ، فَإِنْ كَانَتْ الرَّكْعَةُ الَّتِي صَلى خَامِسَةً شَفَعَهَا بِهَاتَيْنِ وَإِنْ كَانَتْ رَابِعَةً فَالسَّجْدَتَانِ تَرْغِيمٌ لِلشَّيْطَانِ»[4].

---

(١) النساء : ١٠٠.

(٢) التوبة : ١٢٠ .

(٣) الفتح : ٢٩ .

(٤) سنن أبي داود : بَاب إِذَا شَكَّ فِي الثِّنْتَيْنِ وَالثَّلَاثِ مَنْ قَالَ يُلْقِي الشَّكَّ، (٨٦٦).

وسماهما المرغمتين فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ :أَنَّ النَّبِي ﷺ سَمَّي سَجْدَتَي السَّهْوِ الْمُرْغِمَتَيْنِ[١].

فمن تعبد الله بمراغمة عدوه فقد أخذ من الصديقية بسهم وافر. وعلى قدر محبة العبد لربه وموالاته ومعاداته لعدوه يكون نصيبه من هذه المراغمة، ولأجل هذه المراغمة حُمِدَ التبختر بين الصفين، والخيلاء والتبختر عند صدقة السر حيث لا يراه إلا الله؛ لما في ذلك من إرغام العدو وبذل محبوبه من نفسه وماله لله ﷻ ، كما ورد في سنن أبي داود : عَنْ جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ: أَنَّ نَبِي الله ﷺ كَانَ يَقُولُ : «... وَإِنَّ مِنْ الْخُيَلَاءِ مَا يُبْغِضُ الله وَمِنْهَا مَا يُحِبُّ الله، فَأَمَّا الْخُيَلَاءُ الَّتِي يُحِبُّ الله فَاخْتِيَالُ الرَّجُلِ نَفْسَهُ عِنْدَ الْقِتَالِ وَاخْتِيَالُهُ عِنْدَ الصَّدَقَةِ»[٢].

وعَنْ خَالِدِ بن سُلَيْمَانَ بن عَبْدِ الله بن خَالِدِ بن سِمَاكِ بن خَرَشَةَ، عَنْ أَبِيه، عَنْ جَدِّه، أَنَّ أَبَا دُجَانَةَ يَوْمَ أُحُدٍ أَعْلَم بِعِصَابَةٍ حَمْرَاءَ، فَنَظَرَ إِلَيْه رَسُولُ الله ﷺ، وَهُوَ مُخْتَالٌ فِي مِشْيَتِه بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، فَقَالَ:«إِنَّهَا مِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا الله إِلا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ»[٣].

وهذا باب من العبودية لا يعرفه إلا القليل من الناس، ومن ذاق طعمه ولذته بكى على أيامه الأول.

وصاحب هذا المقام إذا نظر إلى الشيطان ولاحظه في الذنب راغمه بالتوبة النصوح، فأحدثت له هذه المراغمة عبودية أخرى[٤].

فأين أنت من هذه العبودية ، وهذا الميدان ؟

---

(١) سنن أبي داود : بَاب إِذَا شَكَّ فِي الثِّنْتَيْنِ وَالثَّلَاثِ مَنْ قَالَ يُلْقِي الشَّكَّ،(٨٦٥).
(٢) سنن أبي داود : في الخيلاء في الحرب ،(٢٢٨٦) قال الألباني : حديث حسن .
(٣) المعجم الكبير للطبراني : ٦/ ٢١٨ .
(٤) مدارج السالكين : ١/ ٢٢٧.

والنماذج التي عرضناها في هذا البحث عمِلت في هذا الميدان وأصبحت لها خصوصية عند الله.

فاجتهد أخي وادْعُ الله أن يُهَيِّئ لك هذا الميدان ، ويُهَيِّئَك له .

وكان من أفضل من أتقن في هذا الميدان الأنبياء والرُسل - عليهم السلام - وقد قاموا بهذه العبودية حق القيام، فصلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ثم قام صحابة رسول الله ﷺ بهذه العبودية خير قيام - رضي عنهم أجمعين- كما ورد عَنْ عَبْدِ الله ﷺ :أَنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ : «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» (١).

قال ابن حجر :... من قاتل مع النبي ﷺ أو في زمنه بأمره وأنفق شيئًا من ماله بسببه لا يعدله في الفضل أحد بعده كائنًا من كان ، وأما من لم يقع له ذلك فهو محل بحث، ومن وقف على سير أهل القرن الأول علم أن شأوهم لا يلحق(٢).

ثم لم ولن يخلو هذا الميدان من قائم لله فيه بالحجة وإن قل عددهم ، وكثر أعداؤهم .

كما قال ﷻ : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾(٣). وكما ورد عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ : عَنْ النَّبِي ﷺ قَالَ :« لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ الله وَهُمْ ظَاهِرُونَ»(٤).

---

(١) صحيح البخاري : بَاب فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ،(٣٣٧٨).

(٢) فتح الباري : ٣/ ٦٣٨ .

(٣) الأعراف : ١٨١ .

(٤) صحيح البخاري : بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ يُقَاتِلُونَ وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ،(٦٧٦٧).

قال النووي -رحمه الله : «يَحْتَمِل أَنَّ هَذِه الطَّائِفَة مُفَرَّقَة بَيْن أَنْوَاع الْمُؤْمِنِينَ:

- مِنْهُمْ شُجْعَان مُقَاتِلُونَ .
- وَمِنْهُمْ فُقَهَاء .
- وَمِنْهُمْ مُحَدِّثُونَ .
- وَمِنْهُمْ زُهَّاد .
- وَآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَاهُونَ عَن الْمنْكَر .
- وَمِنْهُمْ أَهْل أَنْوَاع أُخْرَى مِنْ الْخَيْر .

وَلَا يَلْزَم أَنْ يَكُونُوا مُجْتَمِعِينَ بَلْ قَدْ يَكُونُونَ مُتَفَرِّقِينَ فِي أَقْطَار الْأَرْض»[1].

فانظر إلى قوله -رحمه الله : «وَمِنْهُمْ أَهْل أَنْوَاع أُخْرَى مِنَ الْخَيْر» فكل من وفقه الله إلى نوع من أنواع الخير فهو من الطائفة التي مدحها الرسول الكريم ﷺ ، وهو مؤهل إن تَفَرَّد فيها في أي جيل أن تكون له خصوصية عند الله ﷻ.

(١) شرح النووي على مسلم : ٦/ ٤٠٠ .

خصوصية الأنبياء عليهم السلام

قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[١].

وهذا التفضيل فيهم على نوعين: خِلْقي وخُلُقي.

فالخِلْقي :كما في آدم بالصفوة، وفي نوح بالصّلابة، وفي إبراهيم بالخُلَّة والصدّق والصّداقة، وفي يوسف بالصّباحة، وفي موسى بالملاحة، وفي داود بالنغّمة، وفي سليمان بالفطنة ، وفي زكريّا بالعبادة، وفي يحيى بالطَّهارة، وفي محمد بالخُلُق والفصاحة.

وأمّا التفضيل الخُلُقي : ففي آدم بالأَسماءِ، وفي نوح بإجابة الدعاءِ، وفي إبراهيم بالذبيح والفداءِ، وفي يوسف بتعبير الرؤْيا، وفي موسى بالمكالمة والاصطفاء، وفي داود بتسخير الجبال والطير في الهواءِ، وفي سليمان بتسخير الجنّ وريح الصَّبا، وفي عيسى بإحياءِ الموتى، وفي محمّد بالقرآن ذي النّور والضّياءِ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[٢].

خصوصية محمد ﷺ :

عن جابر بن عبد الله : أن النبي ﷺ قال: «أُعْطِيت خمسًا، لم يعطهن أحد قبلي:

١- نصرت بالرعب مسيرة شهر.

---

(١) الإسراء : ٥٥ .

(٢) بصائر ذوي التميز :٥/ ٢٩.

٢- وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل.

٣- وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي.

٤- وأعطيت الشفاعة.

٥- وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة»[1].

٦- وأعطيت جوامع الكلم .

٧-وختم بي النبيون.

٨- و جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة .

٩- وأعطيت الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش - يشير إلى ما حطه الله عن أمته من الإصر وتحميل ما لا طاقة لهم به ورفع الخطأ والنسيان.

١٠- و أعطيت مفاتيح الأرض.

١١- وسميت أحمد .

١٢- وجعلت أمتي خير الأمم .

١٣- و غفر لى ما تقدم من ذنبي وما تأخر.

١٤- وأعطيت الكوثر .

١٥- وإن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه.

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب التيمم ، رقم الحديث (٣٢٨).

١٦- و كان شيطاني كافرًا فأعانني الله عليه فأسلم [١].

ومن خصوصيته ﷺ: أن الله ﷻ اتخذه خليلًا :

الْخُلَّة: اِنْقِطَاع الْخَلِيل إِلى خَلِيله ، وَقِيلَ : الْخَلِيل مَنْ يَتَخَلَّلهُ سِرّك ، وَقِيلَ : مَنْ لَا يَسَع قَلْبه غَيْرك[٢].

عن عَبْد الله بْن مَسْعُودٍ :عَن النَّبِي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي وَقَدْ اتَّخَذَ الله عَزَّ وَجَلَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا » [٣].

وعَنْ عَبْدِ الله قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «أَلَا إِنِّي أَبْرَأُ إِلى كُلِّ خِلٍّ مِنْ خِلِّه، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، إِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ الله» [٤].

و أَمَّا خُلَّة الله لِلْعَبْدِ فَبِمَعْنَي نَصْره لَهُ وَمُعَاوَنَته[٥] .

وَمَعْنَى الْحَدِيث: أَنَّ حُبَّ الله تَعَالى لم يُبْقِ فِي قَلْبه مَوْضِعًا لِغَيْرِه[٦].

وقد ذكر أبو سعيد النيسابوري في كتاب (شرف المصطفى) أن عدد الذي اختص به نبينا ﷺ عن الأنبياء ستون خصلة .

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ٢/ ٢٤ .
(٢) فتح الباري : ١٠ / ٤٥٥ .
(٣) صحيح مسلم :من فضائل أبي بكر الصديق ،(٤٣٩١).
(٤) صحيح مسلم :من فضائل أبي بكر الصديق ،(٤٣٩٥).
(٥) فتح الباري : ١٠ / ٤٥٥ .
(٦) شرح النووي على مسلم : ٨/ ١٢٠.

خصوصية إبراهيم عليه السلام :

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ [١]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ [٢].

فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته .

هذه خِلْعَة سَنية عظيمة، مع اتخاذ الله إياه خليلا وجعله للناس إماما، أن جعل في ذريته النبوة والكتاب، فلم يوجد نبي بعد إبراهيم عليه السلام إلا وهو من سلالته، فجميع أنبياء بني إسرائيل من سُلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، حتي كان آخرهم عيسي ابن مريم، فقام في ملئهم مبشرًا بالنبي العربي القرشي الهاشمي، خاتم الرسل على الإطلاق، وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، الذي اصطفاه الله من صميم العرب العَرْباء، من سلالة إسماعيل بن إبراهيم، عليهم السلام، ولم يوجد نبي من سلالة إسماعيل سواه، عليه أفضل الصلاة والسلام من الله تعالى [٣].

وهذا من أعظم المناقب والمفاخر، أن تكون مواد الهداية والرحمة والسعادة والفلاح في ذريَّته، وعلى أيديهم اهتدى المهتدون، وآمن المؤمنون، وصلح الصالحون[٤].

وهو فيض من العطاء جزيل ، يتجلى فيه رضوان الله سبحانه على الرجل الذي يتمثل فيه الخلوص لله بكليته ، والذي أجمع الطغيان على حرقه بالنار ،

---

(١) العنكبوت: ٢٧.
(٢) الحديد: ٢٦ .
(٣) تفسير ابن كثير : ٦/ ٢٧٥.
(٤) تفسير السعدي : ٦٢٩.

فكان كل شيء من حوله بردًا وسلامًا ، وعطفًا وإنعامًا جزاءً وفاقًا .

ومن خصوصيته عليه السلام : أن الله عز وجل اتخذه خليلًا:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾[١].

ولما كانت الخلة مرتبة لا تقبل المشاركة امتحن الله عز وجل إبراهيم الخليل بذبح ولده لما أخذ شعبة من قلبه، فأراد سبحانه أن يخلص تلك الشعبة له ولا تكون لغيره فامتحنه بذبح ولده، والمراد ذبحه من قلبه لا ذبحه بالمدية، فلما أسلما لأمر الله وقدم محبة الله تعالى على محبة الولد خلص مقام الخلة وفدى الولد بالذبح .

وقيل : إنما سميت خلة لتخلل المحبة جميع أجزاء الروح[٢].

خصوصية نوح عليه السلام :

قال تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾[٣].

وعن قتادة- رحمه الله - قال: فالناس كلهم من ذرية نوح[٤].

خصوصية موسى عليه السلام :

قال تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[٥].

---

(١) النساء : ١٢٥ .
(٢) روضة المحبين : ٤٨ .
(٣) الصافات : ٧٧ .
(٤) تفسير الطبري :٢١/ ٥٩ .
(٥) النساء : ١٦٤ .

وعَنْ أَبِي عِصْمَةَ، فِي قَوْلِ الله تَعَالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، قال: «مُشَافَهَةً»[١].

وقال وهب بن منبه: إن موسي عليه السلام قال: « يا رب بم اتخذتني كليما»؟

فقال الله تعالى له: أتذكر إذ ند من غنمك جدي فأتبعته أكثر النهار وأتعبك، ثم أخذته وقبلته وضممته إلى صدرك وقلت له: أتعبتني وأتعبت نفسك، ولم تغضب عليه، من أجل ذلك اتخذتك كليمًا[٢].

طلب العمل الذي أسعده الله به ليُكْثِر منه.

خصوصية عيسى عليه السلام :

قال تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[٣]. أي: قويناه، والمراد من هذه التقوية: الإعانة، وإسناد الإعانة إلى جبريل عليه السلام حقيقة.

و اختصاص عيسى بجبريل - عليهما السلام - من آكد وجوه الاختصاص بحيث لم يكن لأحد من الأنبياء - عليهم السلام - مثل ذلك ؛ لأنه هو الذي بشر مريم بولادتها ، وإنما ولد عيسى عليه السلام من نفخة جبريل عليه السلام وهو الذي رباه في جميع الأحوال، وكان يسير معه حيث سار، وكان معه حين صعد إلى السماء[٤].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم :٤/ ٤٤٨.
(٢) تفسير القرطبي :٦/ ١٨ .
(٣)البقرة : ٨٧ .
(٤) تفسير الرازي :٢/ ٢١١.

خصوصية داود عليه السلام :

قال تعالى :﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾[1].

هذه مزية اختصّ بها داود وهي تسخير الجبال له.

خصوصية سليمان عليه السلام :

قال تعالى على لسان سليمان عليه السلام : ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[2].

قال القرطبي – رحمه الله : «قيل : إن سؤاله مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعده، ليكون محله وكرامته من الله ظاهرًا في خلق السموات والأرض، فإن الأنبياء عليهم السلام لهم تنافس في المحل عنده، فكل يحب أن تكون له خصوصية يُستدل بها على محله عنده، ولهذا لما أخذ النبي ﷺ العفريت الذي أراد أن يقطع عليه صلاته وأمكنه الله منه، أراد ربطه ثم تذكر قول أخيه سليمان كما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ :عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَى الْبَارِحَةَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا لِيَقْطَعَ عَلَى الصَّلَاةَ فَأَمْكَنَنِي اللهُ مِنْهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ : «رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي» قَالَ رَوْحٌ: فَرَدَّهُ خَاسِئًا»[3].

---

(١) الأنبياء : ٧٩ .

(٢) سورة ص : ٣٥ .

(٣) صحيح البخاري :الأسير والغريم يربط في المسجد ،(٤٤١).

فلو أعطي أحد بعده مثله ذهبت الخصوصية، فكأنه كره ﷺ أن يزاحمه في تلك الخصوصية، بعد أن علم أنه هو الذي خص به من سخرة الشياطين، أنه أجيب إلى ألا يكون لأحد بعده»[1].

خصوصية يحيى عليه السلام :

قال تعالى :﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴾[2] .

أي : الفهم والعلم والجد والعزم، والإقبال على الخير، والإكباب عليه، والاجتهاد فيه وهو صغير حدث السن .

قال عبد الله بن المبارك: قال معمر: قال الصبيان ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب. قال: ما للعب خلقت ، قال: فلهذا أنزل الله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴾[3].

(١) تفسير القرطبي :١٥/ ٢٠٥.
(٢) مريم : ١٢.
(٣) تفسير ابن كثير : ٥/ ٢١٦.

خصوصية الصحابة ﷺ

قال ابن تيمية –رحمه الله : « الصُّحْبَةُ فِيهَا خُصُوصٌ وَعُمُومٌ، وَعُمُومُهَا يَنْدَرِجُ فِيهِ كُلُّ مَنْ رَآهُ مُؤْمِنًا بِهِ، وَلِهَذَا يُقَالُ : صَحِبْتُهُ سَنَةً ؛ وَشَهْرًا، وَسَاعَةً، وَنَحْوَ ذَلِكَ[1].

وصف سبحانه عباده المصطفين صحابة نبيه والمخصوصين بفضيلة مشاهدته وكريم عشرته فقال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[2]، فأثني سبحانه عليهم وذكر وصفه تعالى بذلك في التوراة والإنجيل ، وهذه خصيصة انفردوا بمزية تكريمها.

خصيصة عدالة الصحابة :

وللصحابة بأسرهم خصيصة وهي: أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفرغ منه، لكونهم على الإطلاق عدول بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة.

---

(١) الفتاوى الكبرى : ٣/ ٤٤٩ .

(٢) الفتح : ٢٩ .

قال الله ﷻ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1].

قيل: اتفق المفسرون على أنه وارد في أصحاب رسول الله ﷺ .

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]، وهذا خطاب مع الموجودين حينئذ.

ومن نصوص السنة الشاهدة بذلك :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِي ﷺ : «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»[3].

ثم إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لابس الفتن منهم فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع، إحسانًا للظن بهم، ونظرًا إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله ﷻ أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة[4].

ويقول ابن كثير: « والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما

---

(١) آل عمران : ١١٠ .

(٢) البقرة : ١٤٣ .

(٣) صحيح البخاري : بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلم لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، (٣٣٩٧).

(٤) مقدمة ابن الصلاح :١/ ٦٥ .

أثني الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله ﷺ، رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل، والجزاء الجميل [١] ».

المربي الأول ﷺ ومنهجه في إبراز خصيصة كل صحابي :

كان النبي ﷺ يعطي لكل صحابي ما كان يناسبه حتي يَجِدّ ويَسعَي في مجاله، وميدانه الذي تتعلق به نفسه وأمله ، كما ورد في سنن الترمذي : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ:

- « أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْر.
- وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ الله عُمَرُ .
- وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ .
- وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ الله أُبَيّ بْنُ كَعْبٍ.
- وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ .
- وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ .
- أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ» [٢].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ عُمَرُ ﷺ : «أَقْرَؤُنَا أُبَيّ وَأَقْضَانَا عَلِي ...»[٣].

---

(١) ملتقي أرشيف أهل الحديث : ٢٥/ ١٧١ .

(٢) أخرجه أحمد ٣ / ١٨٤ و٢٨١، والترمذي (٣٧٩٣) من طريق خالد الحذاء، عن أبي قلابة عن أنس، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه ابن حبان (٢٢٦٨)، وصحيح ابن ماجه (١٥٤) والحاكم، ووافقه الذهبي. وقال الألباني في « السلسلة الصحيحة » ٣ / ٢٢٣ صحيح.

(٣) صحيح البخاري : بَاب قَوْلِه :(مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا) ،(٤١٢١).

فخَصَّ النَّبِي ﷺ كُلّ وَاحِد مِنْ الْكِبَار بِفَضِيلَةٍ وَوَصَفَهُ بِهَا ، فَأَشْعَرَ بِقَدْرِ زَائِد فِيهَا عَلى غَيْره [1] .

وهذه الإشارة من رسول الله ﷺ تعطينا منهجًا في التعامل مع النفوس البشرية لإبراز تَفَرُّد كل نفس بما حَبَّبَ الله ﷻ إليها من مواهب وطاقات واستعدادات.

وإبراز هذه المواهب والطاقات والاستعدادات تحتاج إلى الْمُربي الرباني الحاذق، وإلى المؤسسة الربانية التربوية التي ترعي المواهب والطاقات والاستعدادات وتستثمرها في عمارة الأرض، وإسعاد الخلق.

---

(١) فتح الباري :١١/ ٤٤ .